مدارس الجغرافيا السياسية المعاصرة

أولا- المدرسة الأمريكية:

زبيغينو بريجينسكي ونظرية المساحة الوسطية:

أكد المنظر الأمريكي "بريجنسكي" في كتابة رقعة الشطرنج الكبرى على أهمية أوراسيا الإستراتيجية، حيث وصفها بمنطقة المحور الجيوبوليتيكي للقارة الأسيوية على اعتبارها مجال نفاذ للمناطق الآسيوية المهمة، وحاحب الموارد عن اللاعبين الإستراتيجيين في قارتي آسيا وأوروبا، بإعتبارها نقطة إرتكاز أساسية في تنفيذ مشروع القيادة العالمية، وقد أستندت هذه الرؤية على حقيقة تاريخية تمثلت في تطلع الإمبراطوريات القديمة مثل الإمبراطورية الرومانية والصينية، والمغولية إلى التوسع وتحقيق النفوذ العالمي بمحاولات سيطرتها على هذه الرقعة الجغرافية الهامة من العالم تعزيزا لهذا الطرح يوضح " بريجنسكي"، أن الرهان الرئيسي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية هو السيطرة على الأوراسيا التي تمتد من أوروبا الغربية حتى الصين تكون فيه آسيا الوسطى المنطقة الإستراتيجية الأكثر أهمية المتحكمة في هذا المجال الجغرافي الرحب، وفق هذا المنظور فان أي توسع من الغرب الى الشرق ومن الشرق نحو الغرب لابد أن يمر عبر تلك المنطقة باعتبارها منفذ إستراتيجي للقارة الأوراسية، وبذلك فهي أحد مفاتيح العقائد الجيوسياسية والجيواستراتيجية لأوراسيا التي تسمح بفرض الهيمنة الشاملة على المستوى الكوني، فاذا كان الهدف في نظره من بسط النفوذ على أوروبا الغربية والوسطى هو تحييد بناء الوحدة الأوروبية المنافس الجيو إقتصادي القوي للولايات المتحدة الأمريكية وإعتبارها القطب الأكثر تحركا في الجهة الغربية الأوراسية، فإن الهدف من السيطرة على آسيا الوسطى إضافة الى القوقاز سوف يمكن الأمريكيين من التوغل في منطقة تتضمن إستراتيجية إسلامية تعد مفصولة نسبيا عن الحضارة الغربية الأوروبية، كما يسمح السيطرة على هذا المجال الجغرافي التحكم في العمق الحيوي والإستراتيجي لروسيا والعالم السلافي – الأرثوذكسي بإعتباره من المناطق الأكثر أهمية في العالم.

ويرى " بريجنسكي " أن موقع آسيا الوسطى الجغرافي يجعل منها جسر رابط بين الشرق والغرب، ومن ثم فإن تلك المنطقة تكتسب أهمية جيوبوليتيكية كونها تربط الجهتين الأكثر ثراءا ونشاطا في شرق أوراسيا وغربها، وباكتسابها هذه الميزة الجغرافية الفريدة من نوعها شكلت المنطقة المساحة الوسطية للقارة الأوراسية التي تعد ساحة لتنافس القوى الكبرى بغرض فرض الهيمنة العالمية الشاملة، وعلى أساس هذا التصور أوصى هذا المنظر الولايات المتحدة الأمريكية بسحب تلك المنطقة الى داخل الفلك الغربي التي تتزعمه، حيث يتوجب عليها منع خضوع آسيا الوسطى والقوقاز من سيطرة لاعب دولي واحد بهدف منع الشرق من

التوحد بهدف الحفاظ على النفوذ الأمريكي وعدم إزاحته من أوراسيا، وتحقيقا لهذا البعد الجيوإستراتيجي يتوجب على القيادات الأمريكية ضرورة ملء الفراغ الناشئ عن تفكك الإتحاد السوفييتي، حيث يسمح للقوة العظمى حسب منظوره التمدد في شطر الفراغ الأوراسي، وأن التموقع في هذا الحيز الجغرافي بعد ما تم طردها منه أكثر من أربعين سنة من طرف السوفيات يخدم المخطط الأمريكي الكوني المتعدد الأبعاد، ويحقق طموح بناء القوة الكونية الكاسحة ولن يتأتى ذلك إلا عبر إقامة قواعد عسكرية أمريكية على أراضي جمهوريات آسيا الوسطى تحقيقا الإدراك الإستراتيجي القائم على أن المنطقة تتوسط العالم وتتحكم في حركة توسع القوى الإقليمية والدولية من الغرب نحو الشرق، ومن الشرق باتجاه الغرب وإعتبارها المنفذ الإستراتيجي لأوراسيا، فالسيطرة عليها يعني الهيمنة على مجمل العالم.

لقد برر بريجنسكي حتمية بسط النفوذ الأمريكي في أوراسيا بإعتبارها جزء من منطلق أنها تضم معظم دول العالم، وتتسم بالتواجد السياسي القوي والديناميكية، كما تضم أكبر سكان العالم بتعداد يصل إلى 75 بالمائة، ويوجد بها 60 بالمائة من الناتج الإجمالي، و75 بالمائة من موارد الطاقة العالمية، وتضم أوراسيا أكبر القوى النووية والعسكرية والإقتصادية، والأهم من كل هذا فان هذه القوى الإقليمية والعالمية التي تمتلك هذه المقومات كالهند والصين وروسيا تتحرك بقوة في هذا المجال الجغرافي قصد تحقيق طموحها الهادف إلى تحدي الزعامة الأمريكية على النظام الدولي الجديد، كل هذه المعطيات جعلت من أوراسيا خاصة في الجزء الآسيوي الشرقي منها المتضمن آسيا الوسطى والقوقاز منطقة ذات أهمية جيوإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، بل الأكثر من ذلك فقد أصبحت هذه الرقعة الجغرافية حجر الزاوية في الإستراتيجية الأمريكية للسيطرة والهيمنة على عالم ما بعد الحرب الباردة.
ويعزز هذا المنظور ما ذهب إليه " ستيفن كيلز " أحد المتخصصين والباحثين الأمريكيين في آسيا الوسطى بقوله: " أن المنطقة تتحول إلى بؤرة تنافس دولي سيجعل منها واحدة من المناطق الساخنة في العالم، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تقوم منذ فترة بحملة قوية غير معلنة تهدف إلى السيطرة عليها، وكذلك تفعل روسيا وإيران وقوى أخرى، على شكل تنافس شديد جعلها أحدث ساحة عالمية لسياسات القوى الإقليمية والعالمية.

المدرسة الروسية:

ألكسندر دوغين الأوراسية:

بحكم خصوصية روسيا الروحية وجوهرها الثقافي التاريخي المتميز كما يرى عالم الجيوبولتيك الروسي ألكسندر دوغين، فان هذه الدولة تسعى إلى الحفاظ على تميزها أمام تحديات الغرب وتقاليد الشرق رافعة

شعار " لا الشرق ولا الغرب بل أوراسيا "، وهو ما يجعلها تتمتع بإستقلالية وهوية ذات طبيعة خاصة، وبما أن روسيا هي المحور الجغرافي للتاريخ فإن مصالحها الإستراتيجية لا تنفصل عن الأراضي الأوراسية التي تضم شرق أوروبا ووسط آسيا والقوقاز، فبسط هيمنة الروس على هذه الأقاليم الجعرافية يعد بمثابة المبدأ المؤسس والمحدد لآفاق الجيوبوليتيك للدولة الروسية الراسخ في سلوكها والمرتكز على الفكر التوسعي الإمبراطوري القديم.

ونتيجة لهذا الرهان الجيوسياسي وبحكم موقعها الجغرافي الهام سواء في الحقبة القيصرية أو السوفيتية أعتبرت تلك الأقاليم من الناحية التاريخية كحاجز صد إستراتيجي في مواجهة التهديدات الخارجية، حيث كانت وفق عقيدة الأمن القومي السوفييتي بمثابة الخاصرة الجنوبية للإتحاد التي يتوجب حمايتها من أي تأثيرات وتدخلات خارجية، التي تعني المساس بسيادة وأمن الدولة السوفيتية، وعلى هذا الأساس فقد حددت هذه العقيدة خيارات صناع القرار السوفيات تجاه تلك المنطقة سواء بممارسة ضغوطات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على جمهورياتها السابقة، للحد من تأثيرات التدخلات الخارجية، ومن ثم الحفاظ على المصالح السوفييتية وإبقائها ضمن مجال نفوذ روسيا الفدرالية.

بعد إنقضاء فترة غير طويلة في السياسة الخارجية الروسية أطلق عليها نقادها تسمية توجهات رومانسية موالية للغرب، برز تيار فكري بقيادة ألكسندر دوغين يدعو روسيا إلى انتهاج دورا خارجيا أكثر إثباتا للوجود يحمل صبغة سلافية واضحة، حيث يركز هذا الدور أكثر على الطابع القومي لحماية مصالح الروس خارج حدود دولتهم، وقد أطلق على هذا التيار تسمية بالفكر الأوراسي الذي يركز على ضرورة توجه الدولة الروسية نحو أوراسيا كخيار يطرح نفسه بصيغة سوفيتية جديدة معدلة جغرافيا ومنقحة إيديولوجيا وسياسيا وإقتصاديا وحتى ثقافيا، وقد يشكل هذا الخيار ليس فقط المخرج الأقل صعوبة من أجل أن تستقر روسيا الفدرالية على هوية حضارية جديدة، بل قد يكون المجال الذي تستطيع فيه التحرك بحرية وبشكل فعال، بحيث يتوجب على الروس الحضور القوي والمناورة الواسعة في المجال الأوراسي الذي يشمل مجموعة الدول المستقلة حديثا، والذي يمكن روسيا من أن تصبح الدولة المحورية في النظام الدولي الجديد، وأن تكون فاعلا في هذا النظام من موقع قوة.

وقصد إستعادة روسيا الإتحادية لدورها الديناميكي على المستوى العالمي، ركز دوغين على أولوية البعد الجيوبولتيكي في توجهات سياستها الخارجية في فترة ما بعد الحرب الباردة، فحسب هذا المنظور فإن ترك المجال للتوسع الغربي وبالأخص التغلغل الأمريكي نحو القارة الأوراسية سوف يقلل من فرص حضورها في مجالاتها الحيوية التقليدية، ومن ثم حرمانها من لعب دور محوري في تفاعلات النظام الدولي الجديد. وتعزيزا لتلك النظرة يرى هذا المنظر، بأن تطبيق الفكر الجيولتيكي وتجسيده على أرض الواقع كعقيدة تتحكم

في السلوك الروسي الخارجي سيفضي لا محالة إلى إحياء النفوذ العالمي للروس، ويعيد التوازن الإستراتيجي مع الغرب الذي تم خرقه لصالح الأطلسية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وبناءا على هذه الرؤية الجيوبوليتيكية ينصح "دوغين" صناع القرار في روسيا بضرورة بعث فكرة عالم الجيوبوليتيك البريطاني "ماكندر" حول المحور الجغرافي للتاريخ الذي تكون فيه روسيا الإتحادية قلب الأرض الجديد، الأمر الذي يمكنها من السيطرة على الأرض المحورية في الكتلة القارية الأوراسية.

وعليه فإن مهمة روسيا حسب هذا المنظور تتلخص في تعزيز الإتجاهات الدافعة نحو المركز وإبقاء هذه المنطقة وكل المناطق الواقعة في مجالها الجنوبي تحت السيطرة الإستراتيجية الروسية على نحو إقامة بنيان راسخ يعتبر امتدادا للتقاليد الجيوسياسية لروسيا القيصرية والسوفيتية التي كانت تحافظ دوما على نفوذها ووجودها الإستراتيجي من خلال نظام رقابة مرن ومتنوع العناصر، ويستند هذا التصور على إدراكات واقعية تحتم على القادة الروس الانتباه لها، تتمثل في إيجاد صيغة واضحة لمفهوم العدو أو الخصم الجيوسياسي كعنصر رئيسي في البيئة الجيوبوليتكية الجديدة لروسيا، ومن الواضح أن العدو الرئيسي في هذه البيئة هو الأطلسية أو الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

ويرى دوغين بأن رصد النزعة الجيوبوليتيكية تجاه أوراسيا تكمن أساسا في ثقافة الروس التوسعية، بحيث يستندون إلى تجاربهم التاريخية المطبوعة بديناميكية وتطلع الشعب الروسي إلى التوسع والإعمار الحضاري عبر مجموع أراضي أوراسيا التي تشمل حدودهم الجنوبية، ويظهر هذا التوجه تاريخيا عبر المصالح الإستراتيجية الروسية التي لم تنفصل عن أراضي هذه المنطقة، فالشعب الروسي يحمل رسالة عالمية تجعله يتحرك بصورة منظمة من أجل بناء إمبراطوريته القديمة التي كانت تضم مزيجا من الأقوام والثقافات والأقاليم، لذا فان التوسع المنهجي اللا محدود للحفاظ على النفوذ الروسي في أهم الأقاليم الجغرافية لأوراسيا ليس إعتباطيا بل هو جزء لا يتجزأ من الوجود التاريخي والعقلية الروسية الحاملة لرسالة حضارية تتماشى مع حدود الإمبراطورية المترامية الأطراف، ويؤكد هذا الطرح أحد الجيوبولتكيين الروس "غوميليوف ليف" بإقراره أن الشعب الروسي لا يقتصر على العرق السلافي، بل يشكل خليط من الأعراق جعلته يكتسب خصوصية، فالتمازج بين السلاف والأتراك على سبيل المثال يبرر النزعة الروسية لإعادة نفوذها في الجمهوريات الإسلامية المأهولة بالعرق التركي، فإحياء تاريخ الإمبراطورية القيصرية والسوفيتية في المنطقة لابد أن يراعي ذلك التمازج العرقي الذي يشكل التاريخ الروسي المتحكم في توجهات السياسية الروسية، والمحدد لهوية هذه الدولة ومصيرها في هذا المجال الحيوي، وكنتيجة لذلك تبنى التيار الأوراسي في أفكاره الجيوبولتيكية الهوية كمسألة جوهرية، إذ توجد علاقة وطيدة بين النزعة القومية وتوسع الروس في أوراسيا خلال قرون طويلة من تاريخ بناء إمبراطوريتهم.